رسالة الإمام أبو حامد الغزالي
إلى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي –قراءة تاريخية

د.أم الخير عثماني– أستاذة محاضرة "أ"
جامعة خميس مليانة

الملخص:
هذه دراسة تاريخية لمحتوى رسالةَ واحدٍ من العلماء والمتكلمين الذين عُرفوا في مجال التصوف أكثر، وهو الإمام أبو حامد الغزالي أرسلها إلى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، ومن خلالها نتعرف على طبيعة العلاقات بين الإمام الغزالي كعالم زاهد وواعظ والسلطة السلجوقية، ونظرته إلى الفكر السياسي وقوامة الحاكم المسلم .

Le résumé :
c'est une étude historique du contenu de la lettre d'un des savants et des parleurs qui sont connus dans le domaine du saufisme , c'est celle de l'Imam Abu Hamid Alghazali envoyée à l'empire Mohamed Ibn Malikchah Alsaljuki , et à partir de cette lettre on peut connaitre la nature des relations entre lImam Alghazali comme un savant très pieux et le pouvoir du royaume Saljuk , et sa vue par rapport à la pensée politique et la droiture du dirigeant musulman.

مقدمة:

الرسالة موجودة ضمن كتاب" بُغية المريد في رسالة التوحيد"[1] لمؤلفه الإمام أبي حامد الغزالي[2]، أُشير إليها في كتب التراجم، ككتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، خاصة في الترجمة الخاصة بمحمد بن ملكشاه السلجوقي[3].

والملاحظ أنّ كتب التراجم تشير فقط إلى جمل من بداية تلك الرسالة، دون أدنى تعليق عليها، ولم تذكر إطارها الزماني ولا المكاني تحديدا، لكن المرَجّح أن يكون الإمام أبو حامد الغزالي

قد أرسلها إلى محمد بن ملكشاه السلجوقي بعد تتويجه على رأس السلطنة السلجوقية برتبة سلطان، وهذا يجعلنا نتأرجح بين إطارين زمانيين.

الإطار الأول 492هـ/1099م، وهو تاريخ الخطبة الأولى لمحمد بن ملكشاه بالسلطان في بغداد بعد وفاة والده السلطان ملكشاه مباشرة[4]، أو التاريخ 498هـ/1105م، وهو تاريخ استقرار منصب السلطان لمحمد بن ملكشاه بعد وفاة أخيه السلطان بركياروق[5]، على اعتبار أنّ الخطبة الأولى له على منصب السلطان كانت قد انقطعت عدّة دفعات، ولما توفي أخوه، صفت له السلطنة[6]، وهو ما يجعل التاريخ الثاني هو الأرجح كإطار زماني لإرسالها.

منهج كتابة الرسالة:

المتعارف عليه وجود طرق لكتابة الرسائل بمختلف أنواعها، والرسائل المرسلة إلى السلاطين لها منهاجها الخاص في مجال التهنئة أو التعزية وغيرها، وهذه الرسالة من إمام عالم إلى سلطان، تختلف فيها صفة المرسِل إلى المرْسَل إليه من حيث المكانة في الدولة وهو ما يجعل الاختلاف في تحديد مجال إرسالها مختلف فيه بين تهنئة وغيرها؛ لأنّ الإمام أبو حامد الغزالي فيها خالف منهج كتابة الرسائل إلى السلاطين، فبدأها مباشرة دون توطئة بصيغة أمرية "اعلم أيّها السلطان"[7].

كما أنّ أسلوبه فيها مشابه لأسلوبه في كتابة مؤلّفاته؛ إذ يعطي الحُكم ومعه المثال من الواقع النفسي أو القصصي؛ لذلك فالرسالة كان منهجها منقسما بين شق ديني محض في جزئها الأول، مضمونه التحدث عن عقيدته الدينية ومعالمها، وفي الشق الثاني مواعظ ذات طابع ديني ظاهريا، ولكنها ذات مضمون وبعد سياسي، ممّا يجعلنا نحتار في طبيعة علاقته بالسلطة السياسية ومدى تدخله في المجال السياسي وقتها، ثمّ دراسة التفكير السياسي عند الإمام أبي حامد الغزالي.

ومع الوعظ السياسي قدّم أمثلة توضيحية من قَصص، حدثت في تاريخنا الإسلامي؛ لما كان في صدر الإسلام، ثمّ لبعض خلفاء الدولة الأموية، فخلفاء الدولة العباسية، من قضايا في مجال العدل والاستعانة بالعلماء والوُعاظ والزُهاد، دون أن ينسى أمثلة من تراثنا الإنساني، وهو أمر مشابه لأسلوب الوزير نظام المِلْك الطوسي[8] في كتابه سِيَر الملوك أو سياسة نامة، الذي قدّمه للسلطان ملكشاه السلجوقي بأمر منه.

لا يوجد فيها ترتيب زماني لما يورده من أمثلة؛ أي مرّة يقدم أنموذجا من صدر الإسلام وتعامل الرسول صلى الله عليه وسلم، ثمّ ينتقل إلى مثال ممّا فعله بعض خلفاء بني العباس، ثمّ يعود إلى ذكر آخر من واقع تعاملات خلفاء بني أميّة، ممّا يجعلنا نتساءل عن منحاه هذا، هل عدم

ترتيبه الزماني لأمثلته كان لاهتمامه بالموضوع أكثر منه زمانه؟، وهو ما يفهمه دارس هذه الرسالة أنّ الغزالي تعمّد ذلك؛ إذ ليس هدفه الترتيب الزماني لزمن أمثلته، وإنّما قصده أعمق ربّما كان منهجه هذا هو الأفضل في تقريب نيّته، وقصده لمحمد بن ملكشاه السلطان السلجوقي.

تحليل مضمون الرسالة:

بدأ الإمام أبوحامد الغزالي رسالته إلى محمد بن ملكشاه السلطان السلجوقي بصيغة أمرية دون توطئة سابقة " اعلم يا سلطان العالم، ملك الشرق والغرب "(9)، والتي يُفهم منها اعتراف الغزالي بما وصلت إليه السلطنة السلجوقية من توسع في حدودها الجغرافية من جهة، ومن جهة أخرى من وجاهة حكمها، وكذا مكانة محمد بن ملكشاه السلطان السلجوقي على رأسها كسلطان.

وهذا لا يُفهم منه موالاة الغزالي للسلطان بدرجة المحاباة والتملق، بقدرما هو إقراره لحقيقة واقعية، وصلت إليها دولة آل سلجوق، فالدولة السلجوقية وقت اعتلاء محمد بن ملكشاه منصب السلطان، بلغت حدودها من كاشغر شرقا إلى أنطاكيا غربا، ومن بحيرة خُوارزم شمالا إلى حدود اليمن جنوبا، وضمن أقاليم ما وراء النهر وفارس والعراق وبعض أقاليم آسيا الصغرى، وبعض إمارات بلاد الشام(10) من جهة.

ومن جهة أخرى ما كتبه الغزالي في كتابه أيّها الولد، الذي تضمّن نصائحا منه لأحد تلاميذه، ناصحا له فيما يخصّ علاقته بالسلطان، ومن الأمور التي يجب أن يدعها مستقبلا "أن لا تقبل شيئا من عطايا الأمراء وهداياهم، وإن علمتَ أنّها من الحلال؛ لأنّ الطمع يُفسد الدين؛ لأنّه يتولّد منه المداهنة، ومراعاة جانبهم، والموافقة بظلمهم، وهذا كلّه فساد في الدين، وأقلّ مضرّته أنّك إذا قبلت عطاياهم، وانتفعت من دنانيرهم، أحببتهم، ومن أحبّ أحدا، يُحبّ طول عمره وبقائه بالضرورة"(11).

ويُذَكر الإمام الغزالي في مطلع رسالته السلطان بضرورة شكره لله وجوبا على ما أنعمه ربّه " إنّ لله عليك نعما ظاهرة وآلاءً متكاثرة، يجب عليك شكرها، ويتعيّن عليك إذاعتها ونشرها ومن لم يشكر نعمة الله تعالى، فقد عرض تلك النّعم للزوال"(12)، وهذا ما يتوافق مع ما ذهب إليه الماوردي في سياسة الملك" شكر النّعمة وحُسنُ السيرة حقٌ على كلّ من مكنّه الله عزّ وجلّ في أرضه وبلاده، وائتمنه على خلقه، أن يُقابلَ جزيل نِعَمه بحُسن السريرة، ويجري في الرعية بجميل السيرة"(13).

ولكنّ الغزالي قصّر النعمة على الجانب الديني" وهي نعمة الإيمان الذي هو بدرُ السعادة المؤيدة والنعمة المخلَدة، والله جلت قدرته، قد خوَلك هذه النعمة، وزرع بدر الإيمان في صفاء صدرك، وأودعه في قلبك وسِرّك"[14]، وهو ما يتّفق مع ما تُجمع عليه أغلب الكتابات التاريخية من حُسن سيرة السلطان محمد بن ملكشاه.

ابن الأثير وصفه أنّه " كان عادلا، حسنِ السيرة، شجاعا"[15]، وقال عنه اليافعي" كان فارسا، شجاعا، فحلا، ذا برٍ ومعروفٍ"[16]، وذهب ابن خلكان إلى القول" وكان السلطان محمد رجل الملوك السلجوقية وفحلهم وله الآثار الجميلة والسيرة الحسنة والمعدّلة والبرّ للفقراء والأيتام"[17].

ويضيف الإمام الغزالي ذكر حسناته دليلا على معرفته الشخصية لمحمد السلطان وجماليات سريرته وحُسنِ إيمانه "ومكنّك من تربية ذلك البدر، وأمرَك، أن تسقيه من ماء الطاعة حتى تصير شجرةً أصلُها في قعر الأرض السُفلَى، وفرْعُها في السموات العُلَى"[18] فالإسلام هو الأصل والفِصامُ، فلو فُرِض استلال الإمام عن الدين، لم يَخْفَ انخلاعه وارتفاع منصبه وانقطاعه[19]، حسب ما ذكره الإمام الجويني أستاذ الغزالي؛ أي أنّ فكرة الغزالي من إطالة عُمر السلطان ومدّة تسلطنه، مرهونة بمدى حفاظه على الدين، وهو ما يعطي أولوية للدين على السياسة في دولة السلاجقة.

ورغبة من الإمام الغزالي في مباركة سيرة السلطان محمد؛ فإنّه حدّد له آليات، يجب أن يحافظ عليها "واعلم أنّ لهذه الشجرة عشرة أصول، وعشرة فروع، فأصلها الاعتقاد بالجِنان وفرعها العمل بالأركان"[20]، وهذا نفسه الذي أُخِذَ من تراث الفرس، فقد نصح أحد ملوكهم[21] الملوك " أنّ الدين والملِك توأمان، لا قَوامَ لأحدهما إلا بصاحبه، لأنّ الدين أسُّ والمِلِكَ حارسٌ، ولا بدّ للمَلكِ من أسِّه، ولا بدّ للدين من حارسه؛ لأنّ ما لا حارس له ضائعٌ، وما لا أُسّ له مُنهدمٌ"[22]، ممّا يجعنا نتساءل عن مدى استفادة الإمام الغزالي واطّلاعه على التراث الفارسي دون ذكر لذلك منه.

الجانب العقدي في الرسالة:

وعلى طريقة المتكلمين يحدد الإمام الغزالي عشرة أصول للمذهب الذي يتبعه السلطان؛ للحفاظ وتأكيد إيمانه وتوحيده وهو مذهب الدولة السلجوقية[23]، فخصّص الأول لقاعدة الاعتقاد، الذي هو أصل الإيمان في قوله"اعلم أيّها السلطان، أنّك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع ما

في العالم، وأنّه واحد لا شريك له وكلّ أحد إليه محتاج وليس له إلى أحد احتياج وجوده به ووجود كلّ شيء به"[24]، وهي نفسها الوحدانية.

أمّا الثاني في تنزيه الخالق تعالى"اعلم أنّ الباري تعالى، ذكره ليس له صورة ولا قالبا؛ فإنّه لا ينزل، ولا يحلّ في قالب، وأنّه تعالى مُنزه عن الكيف والكمّ عن لماذا ولِمَ، وأنّه لا يشبهه شيء من الأشياء ولا يشبه شيئا وفي الدنيا معلوم وفي الآخرة مرئي، وكما نعلمه في الدنيا بلا مثل ولا شبه؛ لأنّ تلك الرؤيا لا تشابه رؤية الدنيا، ليس كمثله شيء[25]، وهو ردّ على على المعتزلة[26]، الذين يرفضون ما دعت إليه السنة في تنزيه الخالق ممّن نفوا الرؤية.

والثالث في القدرة، وأنّه تعالى على كلّ شيء قدير، وهو مالك الملك،لا ملك إلا ملكه، أمّا الرابع، ففي العلم، وأنّه تعالى عالم بكلّ شيء معلوم، وأنّه محيط بكلّ شيء وليس شيء من العلى إلى الثرى"[27]، أمّا الخامس، ففي الإرادة، وأنّ جميع ما في العالم بإرادته ومشيئته، في حين كان السادس في أنّه سميع لكلّ مسموع بصير بكلّ مرئي، والسابع في الكلام، وأنّ أمره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب ومهما أخبر به من وعد أو وعيد؛ فإنّه حق، وأمرُه كلامه وكلامه صفة وكلّ صفاته قديمة لم تزل، وكما أنّ الكلام عند الآدمي حرف وصوت فكلام الله تعالى مُنزه عن الحرف والصوت"[28].

أمّا الثامن، ففي أفعاله تعالى وجميع ما في العالم مخلوق لله تعالى وليس معه شريك ولا خالق، ولا يتمكن الظلم من أفعاله؛ لأنّ الظالم الذي يتصرف في أفعال غيره والخالق تعالى لا يتصرف إلا في مُلكه وليس معه مالك سواه، وكلّما كان ويكون وهو كائن فهو مُلكٌ له وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لأحد عليه اعتراض بلَم وكيف، لكن له الحُكم والأمر في كلّ أفعاله وما لأحدٍ غير التسليم والنظر إلى صفِه والرضا بقضائه"[29].

والتاسع في ذكر الآخرة، وأنّه تعالى خلق العالم من نوعين من شخصٍ وروحٍ وجعل الجسد منزلاً للروحِ؛ لتأخذ زادًا لآخرتها من هذا العالم، وجعل لكلّ روحٍ مدّة مُقَدرةً تكون في الجسد، وآخر تلك المدّة هو أجل تلك الروح من غير زيادةٍ، ولا نقصان؛ فإذا جاء الأجل فرّق بين الروح والجسد، ثمّ تحدّث عن الحشر والحساب، حتى ذكر "يُؤمر بالعُصاة إلى النار، فكلّ ما نالته شفاعة الأنبياء والعلماء والأكابر والصالحين والأولياء، عفى عنه، وكلّ من ليس له شفيع، عُوقب بمقدار إثمه، وعُذب بقدْرِ جُرمه، ثمّ يدخل الجنة إن كان قد سلم معه إيمانه[30].

أمّا العاشر، ففي ذِكْر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأنّ الله أرسل رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلّم أخيرا وجعله بشيرا ونذيرا وأوصل نبوّته إلى درجة الكمال، فلم يبق للزيادة فيها مكان ولا مجال؛ ولهذا جعله خاتم الأنبياء(31) ، ويلا حظ من هذه الأصول، التي تصبّ كلّها في باب التوحيد، أنّها ترويج من الغزالي لمذهب السنة والأشعرية(32) القريبة منها والتي هو عليها.

الوعظ السياسي: اهتمّ الإمام بأهمّ ما يتميز به الحاكم المسلم من تطبيق أحكام؛ ليحقق الهدف من حُكمه وهي:

العدل: ولأنّ الإنصاف هو العدل، الذي يستقيم به حال الرعية، وتنتظم أمور المملكة به(33)، فإنّه يورد في رسالته بعض ما أُثر عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم " يُؤتى بالوُلاَة والظالمين يوم القيامة، فيُوقَفون على الصراط، فيُوحِي الله تعالى إلى الصراط، أن ينفضهم إلى النار، مثل من جار في الحكم وأخذ رشوة على القضاء وأعار سمعه لأحد الخصمين دون الآخر، فيسقطون من الصراط"(34)، والظاهر أنّه لخصّ به علاقة الحاكم المسلم بالرعية بمختلف طبقاتها وفئاتها.

وتورد لنا مصادر التاريخ الإسلامي كابن الأثير، أخبارا عن مجالات تطبيق السلطان محمد بن ملكشاه للعدل مع الرعية "ومن عدله أنّه كان له خازن، يُعرف بأبي أحمد القزويني قتلته الباطنية(35)، فلما قُتل، أمر بعرض الخزانة، فعُرض عليه دِرْجٌ فيه جوهر كثير نفيس، فقال إنّ هذا الجوهر عَرضهُ عليّ منذ أيام وهو في مُلك أصحابه وسلّمه إلى خادم؛ ليحفظه، وينظر من أصحابه فيُسَلَم إليهم، فسأل عنهم، وكانوا تُجارا غرباء، وقد تيقنوا ذهابه وأيسوا منه فسكتوا، فأحضرهم، وسلّمه إليهم"(36).

ومن آليات تحرّي العدل، أورد الغزالي في رسالته أمثلة ذات عمق معنوي، عدلي، منها أنّ نبي الله داود عليه السلام، كان يخرج في الليل متنكرا، بحيث لا يعرفه أحد، وكان يسأل من كلّ أحد يلقاه عند داود سرّا، فجاءه جبريل عليه السلام يوما في صورة رجل، فقال له: ما تقول في داود؟، فقال: نِعْم الرجل، إلا أنّه يأكل من بيت المال، ولا يأكل من كدّه، وتعب يديه، فعاد داود إلى محرابه باكيا حزينا، وقال: إلهي، علِّمني صنعة، آكل منها، فعلّمه الله تعالى عمل الزُرد(37).

وفي ذلك عبرة دعت إليها كتب الأحكام السلطانية، فابن الطقطقي وصف ذلك بالحزم " الحازم من الملوك من يبعث العيون على نفسه، ويتفقدها حتى لا يكون الناس بعيبه أعلم منه لعيب نفسه"(38)، ولا شك في أنّ هذه السياسة كانت مطبقة في زمن السلطان ملكشاه(39)، فذكر الوزير نظام الملك في الفصل الثالث عشر من كتابه سِيَر الملوك، في إرسال الجواسيس

وتسخيرهم لصلاح المملكة والرعية "يجب بثّ العيون في كلّ الأطراف دائما في زيّ تُجار وسُيّاح ومتصوفة وبائعي أدوية ودراويش؛ لنقل كلّ ما يسمعون من أخبار حتى لا يظلّ ثمّة شيء خافيا، وحتى يمكن تلافي أي طارئ جديد في حينه، فما أكثر ما كان من الولاة والمستقطعون والعمال والأمراء يضمرون للملك خلافا وعصيانا، ويتربصون به الدوائر سرّا، لكنّ الجواسيس كانوا يكتشفون ذلك، ويُخبرون الملك به، فيركب من وقته وينقض عليهم بغتة فيحيق بهم، ويحبط مآربهم ومقاصدهم، وكانوا إذا ما عرفوا بأنّ ملكا ما أو جيشا أجنبيا ينوي الهجوم على المملكة، يخبرون الملك، فيأخذ للأمر أهبته ويدفعه، وكانوا ينهون أخبار الرعية خيرها وشرّها، فيتعهدها الملوك بدورهم[40].

وكلّ ذلك رغبة في تقريب السلطان من رعيته، فإذا رغب الملك عن العدل، رغبت الرعية عن الطاعة[41]، وحسب ابن خلدون "اعلم، أنّ مصلحة الرعية ليست في ذاته وجسمه ومن حُسن شكله وإنّما مصلحتهم فيه، من حيث إضافته إليهم، فإنّ الملك والسلطان من الأمور الإضافية، وهي نسبة بين منتسبين، فحقيقة السلطان أنّه المالك للرعية، القائم في أمورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصفة التي له من حيث إضافته إليهم، هي التي تسمّى الملِكة وهو كونه يملكهم، فإذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الجودة بمكان، حصل المقصود من السلطان على أتمّ الوجوه[42].

وهذا الفعل من شأنه تقريب الراعي من الرعية، فقد أورد الغزالي مثالا عن عدل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان يسيرمع العسس كلّ ليلة، حتى يرى زللا، يتداركه، فكان يقول" لو تُركت عنزا جرباء على جانب ساقية، لم تدهن؛ لخشيت أن أُسأل عنها"[43].

ورغبة من الغزالي في تحقيق الاستقرار والأمن للدولة والرعية، أورد لنا ما كان من ذياع صيت وشهرة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من جراء عدله، من خلال موقف؛ إذ جاء رسول من قيصر الروم إليه في المدينة، فسأل الناس عن ملك المسلمين، فقيل له: ما لنا ملك؛ بل لنا أمير، قد خرج إلى ظاهر البلد، فخرج الرسول في طلبه، فرآه نائما في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار، وقال: رجل تكون جميع الملوك، لا يقرّ لها قرار من هيبته، وتكون هذه الحالة حالته ولكنّك يا عمر، قد عدلت، فأمنت، فنمت، وملِكُنا يجور، فلا جرم أنّه لا يزال ساهرا خائفا، وأشهد، أنّ دينكم لدين الحق، ولو لا أنني أتيت رسولا، لأسلمت ولكن سأعود بعد هذا،

وأُسلم[44]، إذن العدل أساس الملك، فهو يصنع الهيبة للحاكم والمهابة للرعية والدولة، ويساعد على نشر الدين الإسلامي ودخول الناس فيه.

السلطان والعلماء: يعدّ الإمام الغزالي من علماء الدولة السلجوقية، وهو مُدَرس في المدرسة النظامية في بغداد، ويكفيه أنّه كان من الذين التقاهم الوزير نظام الملك، فأكرمه وعظّمه وبالغ في الإقبال عليه، وكان يحضُره جماعة من الأفاضل فجرى بينهم الجدال والمناظرة في عدّة مجالس، فظهر الغزالي عليهم واشتهر اسمه، ثمّ فوّض إليه الوزير التدريس في المدرسة النظامية ببغداد، فجاءها سنة 484هـ/ 1092م[45]، الذي كلّفه السلطان ملكشاه بكتابة نقدٍ على حُكمه وتوجيهه، فقال نظام الملك في تقديم كتابه" لما صدر الأمر الملكي العالي من لدُن مُعز الدنيا والدين أبي الفتح ملكشاه بن محمد يمين أمير المؤمنين، أعزّ الله أنصاره وضاعف اقتداره إليّ وإلى آخرين غيري عام 497هـ/1104م، بأن لِيُقَلِب كلّ منكم صفحات فِكره ويتأمل، أيوجد ثمّة شيءٌ غير محمودٍ على عهدنا أو أنّه جرى على غير شرْطه أو غامَ عن أعيننا وخفيَ علينا تنفيذُه، سواء في البلاط، أم الديوان، أم القصر، أم المجلس؟، هل من أمرٍ سار فيه الملوك قبلنا صحيحًا، وفاتنا ذلك؟"[46].

يرى الغزالي ضرورة وجود العلماء إلى جانب الحكام ربّما للعظة "ولا يحصل مثل هذا المقام للوالي إلا بمقاربة علماء الدين؛ ليُعلموه طُرق العدل؛ وليُسهلوا عليه خَطَرها"[47]، ولما كان آفة العلماء في حبّ الرياسة[48] على ما ذكره الماوردي، فإنّه يُحَذر من نوعٍ من العلماء[49] " ويحْذَر علماءَ السَوْءِ الذين يحُضونه على الدنيا؛ فإنّهم يثنون عليك، ويغرونك ويطلبون رضا، لا طمعا بما في يديك، من خبيث الحُطام ونيل الحرام؛ ليحملوا منه شيئا بالمكر والحِيَل"[50].

ويُرشح إلى جانب السلطان فئة علماء الدين الوُعاظ؛ لأنّه كان في المرحلة التي سبقت تصوفه واعظا[51] " والصالح هو الذي لا يطمع فيما عندك من المال، وينفعك في الوعظ والمقال"[52]، والتحذير من علماء السَوْء، هو نقدٌ لِما كان من كثرة تصنيفٍ لعلماء تلك الفترة، فقد ذكر نظام الملك في عرض أحوال ذوي المذاهب الخبيثة، أعداء الملك والإسلام" وددتُ، أن أكتب بضعة فصول في خروج الخارجين؛ ليعلم العالم أجمع مدى إشفاقي على هذه الدولة وشدّة هواي وميلي لمِلْك آل سلجوق"[53].

وقدّم أمثلة عن استعانة خلفاء المسلمين من قبل بالوُعاظ تحديدا، فهذا الخليفة هارون الرشيد[54] يطلب من زاهد أن يوصيه، فيردّ عليه الزاهد، أنّ الله تعالى، قد أجلسك مكان

الصديق وأنّه يطلب منك مثل صِدقِ صِدقِه، وأعطاك موضع عمر بن الخطاب الفاروق، وهو يطلب منك الفرق بين الحق والباطل منه، وأقعدك موضع ذو النورين، وأنّه يطلب منك مثل حيائه وكرمه وأجلسك موضع علي بن أبي طالب، وأنّه يطلب منك العلم والعدل، كما يطلب منه[55].

ويضيف بأنّ الحاكم المسلم عليه، أن يذهب إلى الواعظ الزاهد في داره، فقال هارون لأحدهم في داره "جئنا؛ لنطلب الموعظة، فكفى، وأعطاه أمير المؤمنين ألف دينار، ولم يقبلها منه، وخرج من عنده[56]، أي العظة لنفعها الديني فقط.

ولم يقتصر في عرض أمثلته على ما كان من المسلمين؛ بل أورد مثالا عن واعظ كافر يريد عدلا، فملِك صيني بكي بعدما أصابه صمم، فلمّا سُئل عن سبب بكائه، قال: لا أبكي لزوال سمعي وإنّما أبكي لأجل مظلوم، يقف ببابي، يستغيث ولا أسمع استغاثته، ولكنّ الشكر لله؛ إذ بصري سالم، وأمر مناديا، ينادي، ألا من كانت له ظُلامة فليلبس ثوبًا أحمر، وكان يركب الفيل كلّ يوم فكلّ من مرّ ورأى عليه ثوبًا أحمر، دعاه واستمع شكواه وأنصفه من خصمائه"[57].

ويضيف مخاطبا السلطان محمد" فانظر يا أمير المؤمنين إلى شفقة ذلك الملك الكافر على عباد الله، فانظر كيف تكون شفقتك؟[58]، وفي ذلك دعوة منه إلى الاهتمام بمظالم الرعية[59] ومنها إلى ضرورة تفعيل ديوان المظالم[60] في الدولة السلجوقية؛ لِما للسلطان من علاقة به، وتروي لنا كتب التراث من عدل السلطان محمد، أنّه أطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد، ولم يُعرف منه فِعلٌ قبيح، وعلِم الأمراء سيرته، فلم يُقْدم أحدٌ منهم على الظلم، وقفوا عنه[61].

ولم ينس الغزالي تقديم أمثلة عن عدل خلفاء بنّي أمية، كسليمان بن عبد الملك[62] ، الذي أنفذ إلى الواعظ أبي حازم[63] ، وكان عالم زمانه وأزهد أهل زمانه[64] ، فقال له: ابعث لي شيئا من قوتك الذي تفطر عليه، فأنفذ له قليلا من نخالة، قد شواها، وقال: هذا فطوري، فلمّا رأى سليمان ذلك، بكى، وآثر الخشوع في قلبه تأثيرا، فصام ثلاثة أيام، وأفطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية؛ دليلا على بساطة عيش الزهاد"[65].

ومثالا عن الخليفة عمر بن عبد العزيز[66] مع الزاهد أبي حازم للموعظة أيضا؛ دليلا على أنّ الواعظ يمكن له ممارسة نشاطه الوعظي عند كلّ الحكّام، فكان يعظه بضرورة ذكر الموت، ويضيف الغزالي، فينبغي لصاحب الولاية، أن يجعل هذه الحكاية نصب عينيه، وأن يقبل المواعظ التي وُعظ بها غيره، وكلّما رأى عالما، سأله أن يعظه، وينبغي أن يعظ الملوك بهذه المواعظ ولا يغرُّهم، ولا يدّخر عنهم كلمة الحق، وكلّ من غرّهم، فهو مشارك لهم في ظلمهم"[67].

وأورد مثالا عن ما كان من أبي موسى الأشعري[68] ، الذي كتب إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان عامله" أمّا بعد، فإنّ أسعد الولاّة، من سعِدَت به رعيته، وأنّ أشقى الولاّة من شقيت به رعيته، وإيّاك والتبسُط، فإنّ عمالك يقتدون بك"[69] ، كما ذكر مثالا عن ما جاء في التوراة دليلا على موسوعية ثقافة واطّلاع الغزالي" كلّ ظُلم علمه السلطان من عمّاله وسكت عنه، كان الظلم منسوبا إليه، وأُخذ به، وعوقب عليه"[70].

السلطان والمُقَربون منه: عُرف عن القصور كلّها بما فيها الملوكية خاصة وجود الغلمان والخدم، كعمال وهم من مختلف الأصول والأنساب، على اعتبار أنّ الطُرق التي أدخلتهم القصور كانت عادة بشرائهم، وعليه فالغزالي يُحذر السلطان منهم؛ لأنّهم يغرون الوالي ويحببون الظلم إليه، فيلقونه في النار؛ ليصلوا إلى أغراضهم[71]، وهذا التحذير في الحقيقة ليس من مستجدات الغزالي؛ بل الوزير نظام الملك، قد نبّه السلطان ملكشاه إليه سابقا، فكتب في الفصل الثاني عشر من سياسة نامة، في إرسال الغلمان في المهمّات من البلاط " كثيرا ما يُرسل الغلمان في مهام من البلاط بعضهم بأمر وأكثرهم دون أمر، وفي هذا إرهاق للناس، واستنزاف لأموالهم، مثال ذلك أنّه قد يكون المبلغ المطلوب تحصيله مائتي دينار، لكن حين يذهب الغلام يطلب خمسمائة، وهكذا يستنزف الناس أموالهم، ويصيرون فقراء، يجب أن لا يُرْسل أي غلام ما لم تكن تحته مهمّة، وألاّ يكون إرساله دون أمر، وأنّه يُنبَّه عليه بأنّ المبلغ المطلوب تحصيله كذا، فلا تأخذ أنت أكثر من هذا أجرا؛ لتجري الأمور في نصابها[72].

شددّ الغزالي في نفي الكِبر عن السلطان، ودعى إلى التواضع لمن هو تحته من رعية قريبهم وبعيدهم "واعلم أيّها السلطان، أنّ ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل أن ترى الأشياء كما هي وتدرك حقائق باطنها، إلى أن ذكر؛ لأنّك لو كنت عاقلا؛ لعلمتَ أنّ الذين يخدمونك، إنّما هم خدمٌ وغلمانٌ لبطونهم وفروجهم وشهواتهم، وأنّ خدمتهم وسجودهم لأنفسم، لا لك وعلامة ذلك أنّهم لو سمعوا إرجافا أنّ الولاية تُؤخذ منك، وتُعطى لغيرك؛ لأعرضوا بأجمعهم عنك، وتقرّبوا إلى ذلك الشخص، وفي أيّ موضع علموا الدرهم فيه، سجدوا، وخدموا ذلك الموضع"[73]، ونصحه بأن يجد العفو أقرب إليه من العقاب، كما كان يفعل زين العابدين علي بن الحسين[74] رضي الله عنهما في الصفح عمّن يشتمه.

وهو نفسه ما أوصى به الزاهد محمد بن كعب القُرَظِي[75] الخليفة عمر بن عبد العزيز، من أنّ العدل هو كل مسلم أصغر منك سنّا، تكن له أبا، ومن كان أكبر منك سنّا، فكن له ولدا،

ومن كان مثلك، فكن له أخا، وعاقب كلّ مسلم مجرم على قدْر جُرمه، وإيّاك أن تضرب مسلمًا سوطًا واحدًا على حقدٍ منك عليه، فإنّه يُصَيِّرُك إلى النار(76). ويرى الغزالي ما هو فوق المراقبة بأنّه ينبغي للحاكم، ولمن أراد حفظ العدل على الرعية أن يرتب غلمانه وعمّاله للعدل، ويحفظ أحوال العمال، وينظر فيها، كما ينظر في أحوال أهله وأولاده ومنزله، ولا يتمّ ذلك إلا بحفظ العدل أولا من باطنه، وذلك أن لا يُسلط شونه، وغضبه على عقله ودينه(77). وفي آخر الرسالة يُذكر الإمام الغزالي السلطان بالآخرة " واعلم أيّها السلطان، أنّ الدنيا منزلة، وليست قرار، وما تبّقى من الرسالة كلّه أمثلة عن مفاتن الدنيا، ومغرياتها، والتذكرة بالآخرة(78)، ويكرر قيمة العدل والسلوك الحسن في مثال عن ما كان يفعله زين العابدين مع من يشتمه في شكل مقارنة بين ردّ زين العابدين بقوله لمن يسبّه "هذا بيني وبين جهنم عقبة، إنْ أنا جُزْتُها فما أُبالي بما قُلتَ: وإن أنا لم أجُزها، فأنا أكثر ممّا قلتَ"(79). دليلا على سبل تفادي الفتن والصراعات بالتحكم في الشهوة والعقل، وأشار إلى النهب الذي كان في تلك الفترة للأموال من العمال " وفي هذا الزمان عامل يتناول من أموال الناس كذا وكذا ألف دينار في كلّ سنة؛ لأجل غيره وتبقى في ذمّته، ويُطالب بها في يوم القيامة، ويحصُل بمنفوعها سواه(80)، ويقدم مثالا عن ما كان من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(81) للواعظ أبي حازم في تعريف الخلافة، فردّ عليه: ما التدبير في النجاة؟ فقال: أن تأخذ الدرهم من وجه حلال وتضعه في موضع حرام"(82). وبقية الرسالة تكرار وتلخيص لما سبق قوله، في شكل استنتاجات تؤكد ما قلناه عن أسلوبه مسبقا، "فاشعِر قلبك أيّها الملك خوف ملك الملوك ومن أنت وكلّ ملك ومملوك في قبضة يده، واجعل الموت أبدا منك على بال، فإنّ الأجل وإن طال قصير والخطْب في العرْض والحساب كبير والله خليفتي عليك والسلام(83).

تقييم محتوى الرسالة: يمكن الاستعانة بكتب الغزالي في استخلاص المادة التاريخية التي تتلاءم وكتاباتنا التاريخية، وذلك من خلال ما ضمنّه فيها لبعض القصص في أمثلة توضيحية بين الحين والآخر؛ لإيصال فكره، وهذه الرسالة مشابهة لما هو موجود أصلا في كتب الأحكام السلطانية وفيها نصائح سياسية، تدل على حُسن اطّلاع الغزالي على تراث الغير، وكذا التراث الإسلامي عبر فترات حكم الدولة الإسلامية، وربّما أخْذه لتلك القصص الفردية دليلا على عدم وجود مدونة في العصر الأموي وما قبله؛ بل وحتى منتصف القرن الثاني الهجري؛ لتلخيص جملة الآراء السياسية في الحُكم، وكلّ ماهو موجود إنّما هو تجارب شخصية، كتبها الفقهاء والزهاد والمتحدثون كمحاولة أولى لصياغتها فيما بعد، في شكل نصوص سياسية، مع العلم أنّ ما كتبوه كان لأجل

التوحيد وربما هذا ما يفسر نجاح دولة السلاجقة؛ لأنّها دولة علماءٍ ووُعاظٍ قبل أن تكون دولة ساسةٍ وملوك.

الهوامش:

1. كتاب صغير الحجم، يتضمن مجموعة رسائل، كلّها تصبّ في باب توحيد الله، ألّفه الإمام أبو حامد الغزالي، بدأه برسالته إلى السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي، ثمّ رسالة التجريد في كلمة التوحيد لأحمد بن محمد الغزالي، ثمّ رسالة الوعظ والاعتقاد لأبي حامد الغزالي، موجهة إلى أحمد بن سلامة الدممي.
2. أبو حامد الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملّقب حُجّة الإسلام زين الدين الطوسي، الفقيه الشافعي، ولد سنة450هـ/1059م، اشتغل في مبدإ أمره بالتدريس في طوس، على أحمد الراذكاني، ثمّ قدم نيسابور، واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي المعالي الجُويني، وجدّ في الاشتغال حتى تخرّج، وصار من الأعيان زمن أستاذه، التقى الوزير نظام الملك، وفوض إليه التدريس، وارتفع صيته في العراق، وبعدها سلك الزُهد، وقصد الحجّ، وناب عنه أخوه أحمد في التدريس، فلمّا رجع، قصد الشام، وأقام في دمشق، ومنها بيت المقدس، فمصر، ومنها عاد إلى طوس، صنّف الكثير من الكتب، منها كتاب إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة وغيرها، وتوفي في 505هـ/1112م. أنظر، ابن خلكان (أبو العبّاس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر 608هـ/681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان، حققّه الدكتور إحسان ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ /1994م، م4، ص216 وما بعدها.
3. محمد بن ملكشاه، أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان، الملّقب غياث الدين، كان مع والده ملكشاه لما جاءته الوفاة، وله أخ من أمّه يسمّى سنجر، وآخر من والده يسمّى بكياروق، واختلفوا بعد وفاة والدهم على الملك، فدخل محمد وأخوه سنجر إلى بغداد، وخلع عليهما المستظهر بالله، وأجابه إلى إجلاسه هو وأخيه على قبّة التاج، وخطب لمحمد بالسلطنة في جامع بغداد، توفي سنة511هـ/1118م. أنظر، ابن خلكان: نفس المصدر، م5، ص ص71، 72 .
4. ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت630هـ): الكامل في التاريخ، راجعه وصحّحه الدكتور محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 1424هـ/2002م، ج9، ص167 .
5. ابن الأثير: نفس المصدر، ج9، 87 .
6. ابن الأثير: نفس المصدر، ج9، ص167 .
7. الغزالي(محمد بن أبي حامد): بغية المريد في رسائل التوحيد، المطبعة المحمودية التجارية، ميدان الجامع الأزهر الشريف، مصر ، دون تاريخ نشر وطبعة، ص2 .
8. نظام الملك الطوسي، الوزير نظام الملك، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العبّاس، الملّقب نظام الملك، قوام الدين الطوسي، من ناحية طوس، تسمّى الراذكان، كان من أولاد الدهاقين واشتغل بالحديث والفقه، ثمّ اتّصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ، وكان يكتب له، فكان يصادره في كلّ سنة،

فهرب منه، وقصد داود بن ميكائيل بن سلجوق، والد السلطان ألب أرسلان، فظهر له منه النصح والمحبّة، فسلّمه إلى ولده ألب أرسلان، وقال له: اتّخذه والدا، ولا تخالفه فيما يشير به، فلمّا ملك ألب أرسلان دبّر أمره فأحسن التدبير، وبقي في خدمته عشر سنوات، فلمّا مات ألب أرسلان، وازدحم أولاده على الملك، وطّد المملكة لولده ملكشاه، فصار الأمر كلّه لنظام الملك، وليس للسلطان إلا التخت والصيد، وأقام على هذا عشرين سنة، وكان مجلسه عامرا بالفقهاء والصوفية، وكان كثير الإنعام على الصوفية. أنظر، ابن خلكان: وفيات، م2، ص129 .

9. الغزالي: بغية المريد، ص2 .
10. ابن الأثير: الكامل، ج8، ص396؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، م5، ص284 .
11. الغزالي: أيّها الولد، تقديم وتحقيق وفهرسة جميل إبراهيم حبيب، مطبعة واو قشيت، المطبعة الكاثوليكية، ش م ل ،11 تشرين الأول1983م، لبنان، ص 47 .
12. الغزالي: بغية المريد، ص2 .
13. الماوردي(أبو الحسن علي بن حبيب ت450هـ): درر السلوك في سياسة الملوك، تحقيق ودراسة وتعليق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1417هـ/1997م، ص87 .
14. الغزالي: بغية المريد، ص2 .
15. ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص 168 .
16. اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني ت768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997م، ج3، ص153 .
17. ابن خلكان: وفيات الأعيان، م5، ص72 .
18. الغزالي: بغية المريد، ص2 .
19. الجويني(الإمام أبو المعالي ت478هـ): غياث الأمم في التياه الظُلم، تحقيق ودراسة الدكتور مصطفى حلمي والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص 98 .
20. الغزالي: بغية المريد، ص2 .
21. المقولة فارسية لأردشير بن بابك دليل على اطلاع الغزالي على تراث الفرس. أنظر، الماوردي: درر السلوك، ص90.
22. نفسه.
23. يركز على الأشعرية القريبة من السنّة. أنظر، الشّهرستاني(أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم ت548هـ): الملل والنّحل، قدّم له وعلّق حواشيه الدكتور صلاح الدّين الهوّاري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، طبعة2008م، ج1، ص 105وما بعدها.
24. الغزالي:بغية المريد، ص3 .
25. نفسه.

26. المعتزلة، يسمّون أصحاب العدل والتّوحيد، ويُلقبون بالقدريّة، تؤمن المعتزلة بأنّ العبد قادر، خالق لأفعاله خيرها وشرّها مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدّار الآخرة، والرّبّ منزّه، أن يُضاف إليه شرّ وظلم وفعل وكفر ومعصيّة، لأنّه لو خلق الظّلم،كان ظالما،كما لو خلق العدل،كان عادلا . أنظر، الشّهرستاني : الملل والنّحل، ج1، ص ص58،59 .
27. الغزالي: بغية المريد، ص3.
28. الغزالي: نفس المصدر، ص4 .
29. نفسه.
30. الغزالي: نفس المصدر، ص5 .
31. نفسه.
32. للاطلاع أكثر. أنظر، الغزالي: قواعد العقائد في التوحيد، دراسة نصية للدكتور السيد محمد عقيل بن علي المهدلي، ط2، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة.
33. الماوردي: درر السلوك، ص93 .
34. الغزالي: بغية الرواد، ص6 .
35. الباطنية، المقصود بها في زمن السلطان محمد أصحاب الحسن بن الصبّاح الرازي واهتمّ السلطان محمد بهدم حصونهم وقلاعهم خاصة قلعة ألموت. أنظر، ابن الأثير: الكامل، ج9، ص169 .
36. ابن الأثير: نفس المصدر، ص 168 .
37. الغزالي: بغية المريد، ص6 .
38. ابن الطقطقي(محمد بن علي بن طباطبا): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، عني بنشره محمد توفيق الكتبي، طبعة الرحمانية، ص39 .
39. ملكشاه، أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دُقاق، الملّقب جلال الدولة، وليّ الأمر من بعد والده بوصية منه، ووصّى والده الوزير نظام الملك أبا علي الحسن على تفرقة البلاد بين أولاده ويكون مرجعهم إلى ملكشاه، وكان من أحسن الملوك سيرة، حتى كان يلّقب بالسلطان العادل، ولد في التاسع من جمادي الأولى سنة447هـ/1056م، توفي في بغداد السادس عشر شوال سنة485هـ/1093م، وحمل تابوته إلى أصفهان، ودفن بها في مدرسة عظيمة موقوفة على طائفة الشافعية والحنفية. أنظر، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج5، ص 283 وما بعدها.
40. نظام الملك: سير الملوك، ص 112 .
41. الماوردي: دررالسلوك، ص95 .
42. ابن خلدون: المقدمة، دارالعلم القلم، بيروت، لبنان، ط7، 1409هـ/1989م، ص188 .
43. الغزالي: بغية المريد، ص6 .
44. نفسه.
45. ابن خلكان: وفيات، م4، ص217 .

46. نظام الملك: سير الملوك، ص227 .
47. الغزالي: بغية المريد، ص6 .
48. الماوردي: دررالسلوك، ص106 .
49. للمعرفة، اطّلع على فصل في بيان المغرورين من العلماء. أنظر، الغزالي: الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين(أصناف المغرورين)، دراسة وتحقيق وتعليق عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص37 وما بعدها.
50. الغزالي: بغية المريد، ص6.
51. سلك الغزالي طريق الزهد والانقطاع بعد سنة484هـ/1092م. أنظر، ابن خلكان: وفيات، م4، ص217.
52. الغزالي: بغية المريد، ص6 .
53. نظام الملك: سير الملوك، ص227 .
54. الخليفة هارون الرشيد، أبو جعفر بن المهدي بن المنصور عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العبّاس، أستخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي، ربيع الأوّل عام170هـ/787م، كان يبغض المراء في الدّين والكلام في معارضة النّص، استمّر حكمه إلى عام 193هـ/809م. أنظر، السيوطي(الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): تاريخ الخلفاء، خرّج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، ط1، 1426هـ/2005م، القاهرة، مصر، ص ص222،221؛ القلقشندي(أبوالعبّاس أحمد بن علي ت821هـ/1418م):صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والتّرجمة والطّباعة والنّشر، محرّم1383هـ/ جويلية 1963م، ج2، ص486.
55. الغزالي: بغية المريد، ص7 .
56. نفسه. كان هناك وعاظا إلى جانب الخلفاء العباسيين الأوائل، لكنّهم كان فيهم من المعتزلة كعمرو بن عبيد الذي كان يتلّقى منه الخليفة أبو جعفر المنصور الوعظ.
57. الغزالي: بغية المريد، ص8 .
58. نفسه.
59. النّظر في المظالم قديم، كان الفرس يرونه من قواعد الملك وقوانين العدل، الّذي لا يعمّ الصلاح إلاّ بمراعاته، ولا يتّم التّناصف إلاّ بمباشرته، و انتصبوا لذلك بأنفسهم في أيّام معلومة، لا يُمنع عنهم من يقصدهم فيها من ذوي الحاجات؛ لأنّ أصل قيام دولتهم ردّ المظالم. أنظر، النّويري(شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب 677هـ/733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، مطابع كوتساتسوماس وشركاه، القاهرة، مصر، م3، ج6، ص266.
60. ديوان المظالم:هيئة قضائيّة عالية؛ ولذلك فسلطة صاحب المظالم أعلى بكثير من سلطة القاضي؛ لإنصاف المظلومين؛ أي تنظر في ظلامات النّاس، أيّا كان نوعها، تُسند رياسته لرجل جليل القدر، يُعرف باسم قاضي المظالم، موضوع لما عجز عنه القضاة، وناظر المظالم يقود المتظالمين إلى التّناصف بالرّهبة، وزجر

المتنازعين. أنظر، الماوردي(أبو الحسين علي بن محمّد بن حبيب البصري البغدادي ت450هـ): كتاب الأحكام السّلطانيّة والولايات الدّينيّة، تحقيق سمير مصطفى رباب، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان، طبعة أخيرة،2004م، ص 94-262؛ مصطفى الرّافعي: الإسلام نظام إنساني، مراجعة الشّيخ حسن تميم، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط2، 1958م، ص 178 .

61. *ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9، ص169 .*

62. *الخليفة سليمان بن عبد الملك، 96هـ/715م- 99هـ/718م، أبو أيوب، من خيار ملوك بني أميّة، ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه سنة 96هـ/715م، فصيحا ومفوها ومؤثرا للعدل ومحبّا للغزو، وكان مولده سنة 60هـ/680م، مات غازيا بدابق. أنظر، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص184 .*

63. *أبو حازم، سلمة بن دينار، مولى لبني شجع من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، أعرجا، عابدا، زاهدا، كان يقصّ بعد الفجر والعصر في مسجد المدينة، ولما قدم الخليفة سليمان بن هشام بن عبد الملك المدينة، بعث إليه، فأتاه وساءله عن حاله، كان ثقة، كثير الحديث، توفي بعد سنة140هـ/758م، في خلافة أبي جعفر. أنظر، ابن سعد: الطبقات الكبرى " القسم الثالث المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم" ، دراسة وتحقيق زياد محمد بن منصور، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، السعودية، ط1، ص ص232، 233؛ الذهبي(الإمام أبو عبد الله شمس الدين ت 748هـ): كتاب تذكرة الحُفّاظ، دار الفكر العربي للطبع والنشر، م1، ج1، ص ص133، 134 .*

64. *يذكره الذهبي، كان ثقة، فقيها، ثبتا، كثير العلم، كبير القدْر وكان فارسيا وأمّه رومية. أنظر، الذهبي: تذكرة الحُفّاظ: م1، ج1، ص134.*

65. *الغزالي: بغية المريد، ص8 .*

66. *الخليفة عمر بن عبد العزيز، 99هـ/718م-101هـ/720م، ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، من أئمة الاجتهاد، أمّه أمّ عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد عام63هـ/656م، ثقة مأمونا، له فقه، وعلم، وورع، روى حديثا كثيرا، عادل، كان يبكي لمجرد ذكر الموت، ظلّ في المدينة حتى عام85هـ/704م، فاستدعاه عمّه عبد الملك بن مروان، وعيّنه واليا على دمشق، زوّجه إبنته فاطمة، ثمّ واليا على خناصرة، ثم عينه ابن عمّه الوليد بن عبد الملك واليا على المدينة87هـ/706م-93هـ/712م، فعمّها العدل والأمن، أشرك معه أهل العلم والفضل. أنظر، ابن كثير القرشي الدّمشقي(الإمام الحافظ عماد الدّين أبي الفدا ت 701هـ/774م): البداية والنّهايّة، راجعه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمّد تامر، شريف محمّد، محمّد عبد العظيم، محمّد سعيد محمّد، دار الوّعي للنّشر والطّبع والتّوزيع، الجزائر، ج5، ص114وما بعدها.*

67. *الغزالي: بغية المريد، ص9 .*

68. *أبو موسى الأشعري، عبد الله بن قيس بن سلم بن حضار بن حرب، هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقدم مع جعفر زمن فتح خيبر، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم مع معاذ على اليمن، ثمّ ولي لعمر الكوفة والبصرة، وكان عالما، عاملا، صالحا، تاليا لكتاب الله، روى علما طيّبا، وأقرأ القرآن، حدّث عنه*

طارق بن شهاب وغيره، وقيل: قضاة الأئمّة أربعة، عمر وعلي وزيد وأبو موسى رضي الله عنهم، وقيل: لم يكن يُفتي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم سوى عمر وعلي ومعاذ وأبي موسى، وكان عابدا، صوّاما، قوّاما، كبير القدر، مات في ذي الحجة سنة44هـ/664م. أنظر، الذهبي: تذكرة الحفاظ، م1، ج1، ص ص23، 24 .

69. الغزالي: بغية المريد، ص9 .

70. نفسه.

71. نفسه.

72. نظام الملك: سير الملك، ص111 .

73. الغزالي: بغية المريد، ص10 .

74. زين العابدين، علي بن الحسين رضي الله عنه، أجمع أهل السنة والجماعة والشيعة على تلقيبه بزين العابدين وبالسجّاد، ولد في المدينة "38هـ/658م، مات جدّه وهو في السنة الثانية من عمره، وقُتل والده في كربلاء وهو في الثالثة والعشرين، وضع أساس فكرة المحاسبة، وهي فكرة الزهاد والمتصوفة، توفي في خلافة عمر 99هـ/718م. أنظر، النشار(علي سامي): نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار السلام للطبع والنشر والتوزيع، مصر، ط1429،1 هـ / 2008م، ص769- 778 .

75. محمد بن كعب القُرظي، ابن حبّان بن سُليم بن أسد القُرَظي، يكنى أبا حمزة، كان ثقة، عالما، كثير الحديث، ورعا، توفي سنة 108هـ/ 726م، أو118هـ/738م. أنظر، ابن سعد، الطبقات، ص143 وما بعدها.

76. الغزالي: بغية المريد، ص8 .

77. الغزالي: نفس المصدر، ص10 .

78. الغزالي: نفس المصدر، ص11.

79. الغزالي: نفس المصدر، ص12 .

80. نفسه.

81. هشام بن عبد الملك، بو يع بالخلافة بعد يزيد بن عبد الملك، ويكنّى أبا الوليد . أنظر، ابن قتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم): المعارف، حقّقه وقدّم له الدكتور ثروت عكاشة، ط2 منقحة، دار المعارف، مصر، ص365 .

82. الغزالي: بغية المريد، ص13 .

83. الغزالي: نفس المصدر، ص21 .